غوايةُ القصيدة، وفتنةُ (مهنة المتاعب)!

عبدالرزّاق الربيعي

منذ أن بدأتُ رحلتي مع الكتابة ، كانت تشغلني مسألة إيصال كلمتي الى أوسع شريحة من الناس، ولم أجد صدرا رحبا مثل الصحافة، ويوما بعد يوم وجدت نفسي أمشي في زقاق جميل هو زقاق الصحافة، ولم يتقاطع هذا مع استمراري في كتابة الشعر، وولعي بالمسرح، بل تكامل معهما والجميل أنّ أوّل من شدّ على يدي، وبارك خطواتي للسير في هذا الزقاق ، من الأدباء، وبعضهم كان يعمل في صحافة الأطفال ،إذ التحقت بالعمل خلال دراستي الجامعيّة في (دار ثقافة الأطفال)، بدعم من مديرها العام الشاعر الكبير عبدالرزّاق عبد الواحد، ومنها انطلقتْ أولى خطواتي في هذا الطريق، ومع تأسيس مجلّة (أسفار) الثقافيّة الفصليّة عملتُ فيها، وخلال ذلك تعرّفت على د. صباح ناهي، وكان مسؤولا عن قسم المنوّعات في جريدة(الجمهوريّة)، فشجّعني على كتابة تحقيقات، ومقالات، قام بنشرها في الجريدة التي انتقلت للعمل بها سنوات، حتى عينت رئيسا للقسم نفسه، قبل أن أغادر بغداد عام١٩٩٤م إلى الأردن، وهناك عملتُ في صحيفة (الرصيف)، وكنت أكتب في الملحق الثقافي لجريدة(الدستور)، وواظبت على ذلك حتى انتقالي لليمن للعمل في التدريس، إذ أنّ معظم الصحف كانت ذات طابع حزبي، ومحلّي صرف، وكنتُ خلال تلك السنوات مراسلا لجريدة(الزمان) اللندنيّة، و(الفينيق) الأردنيّة، وأكتبُ في الملاحق الثقافيّة اليمنيّة، وعندما انتقلت إلى السلطنة، عام١٩٩٨ م واصلت عملي مراسلا لـ(الزمان)، و(الفينيق)، إلى جانب التدريس، وحين تأسّستْ دار (الصدى) الإماراتية اعتمدتني مراسلا في (مسقط) ، ومن خلال ذلك توطّدتْ علاقاتي بالوسط الثقافي العماني، وكنت أنشر بين وقت، وآخر مقالات، وحوارات في ملحق (عمان) الثقافي عندما كان يشرف على تحريره الصديق سعيد النعماني، وبقيتُ أواصل الكتابة أسبوعيًا في الملحق، وفي عام ٢٠٠٣ عملتُ في (الشبيبة)، وكانت محطّة مهمّة في مشواري مع الصحافة العمانيّة، إذ وفّرت لي مساحة أوسع، للاقتراب من نبض الشارع الثقافي العماني، وبقيتُ سنوات مستمرّا على ذلك، بشغف كبير، مشرفا على ملحق(آفاق) الذي استقطب العديد من الأسماء أبرزها الشاعر الكبير سيف الرحبي، كما نشر للكثير من الأقلام إلى جانب أسماء جديدة، وكنت أركّز على إعطاء مساحة للمادّة المحليّة، والأقلام العمانيّة، حتّى لو كانت كتاباتها ليست بذلك النضج، من باب دعمها، والأخذ بأيدي أصحابها، وواصلت الإشراف على الملحق، حتى إيقافه، بسبب تغييرات شاملة حصلتْ في الصحيفة شكلا ، ومضمونا، فصدر ملحق هو أقرب للمنوّعات حمل اسم(مزاج)، ويوما بعد آخر، انطفأتْ جذوة الحماس، في العمل، ووجدت أنّ الوقت قد حان، للانتقال إلى مكان آخر، فانتقلتُ للعمل في مؤسسة (عمان) للصحافة، التي فتحت ذراعيها لي، لكنّني كما وعدت المسؤولين في عملي السابق إنني لن أعمل ، في صحيفة منافسة، فضّلت الالتحاق بمركز الدراسات ،والبحوث، واخترت أن تكون اطلالتي مع القرّاء من خلال كتابة مقال أسبوعي كلّ يوم أحد في صحيفة(عمان) يحمل اسم(هوامش.. ومتون)، مع استمرار علاقتي بالصحافة من خلال عملي مراسلا لمجلة (دبي الثقافية)، قبل توقّفها، وإدارة تحرير صحيفة (أثير) الالكترونيّة، حتى أواخر العام الماضي.

وخلال عملي في الصحافة الثقافيّة كنت أركّز على المادة المحليّة، والجهد الشخصي، من خلال إجراء الحوارات، والتحقيقات، فالصحافة الثقافيّة ليست نصوصا شعريّة، وقصصيّة، وجمع مقالات فقط، بل تجوالًا في الشارع الثقافي، وطرح أسئلة، وإثارة قضايا، وخلال ذلك حاولتُ جاهدا تجنّب الاعتماد على ما يصلنا من حوارات، وتحقيقات، وتقارير ثقافيّة من الوكالات العالميّة التي تشترك بها الصحيفة، والمراسلون، حتى تجاوزت نسبة المادة المحليّة، في الغالب، الـ ٧٠٪ ، ورغم أنّ هذا التوجّه محفوف بصعوبات جمّة بسبب عزوف الأدباء، والفنّانين العمانيّين عن التفاعل، والتعاطي مع وسائل الإعلام، وربّما يشاركني الكثير من زملائي العاملين في الصحافة الثقافيّة المحليّة هذا الهمّ، ولعلّ السبب يعود إلى نوع من الزهد في الشخصيّة، والتواضع، وما إلى ذلك من أسباب، وهذا لم يثنني عن النهج الذي اتّبعته، وهو التركيز على المادّة المحليّة انطلاقا من يقيني أنّ في ذلك خصوصيّة، وإبرازًا للأنشطة المحليّة ، والحراك الثقافي، ومن واجب المحرر الثقافي افساح المجال لأصحاب المواهب، وتسليط الأضواء على نتاجاتهم، وهذا لن يتحقّق إلّا بالتواصل مع الساحة الثقافيّة، والبحث، ومتابعة المستجدّات.

ولأنّ الصحافة الثقافيّة تعتمد على الحراك الثقافي في أيّ بلد، لذا كنّت في السنوات الأولى من عملي في الصحافة الثقافيّة، والفنيّة العمانيّة أواجه العديد من التحدّيات، لقلّة الروافد التي تمدّنا بالمادة، لكنّ في السنوات الأخيرة، بعد تأسيس الجمعيّات، وبخاصّة الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء، وتنشيط النادي الثقافي، والمرافق الثقافيّة الأخرى، وظهور الصالونات الأدبيّة، وإقبال الأدباء العمانيين على طباعة الكتب، حدث حراك جيّد، ساهم في رفد الصحافة الثقافيّة، والفنيّة، بالمادّة المحليّة.

ولعلّ سائلا يسأل: ماذا أعطاك العمل في الصحافة الثقافيّة؟ فأجيبه:

لقد أعطتني الصحافة الكثير، لعلّ أبرز ذلك، محبّة الكثير من المثقّفين، والمتابعين، إلى جانب العلاقات الثقافيّة الواسعة، التي ربطتني بالعديد من الأدباء العمانيين، والعرب، ومكّنتني من مشاهدة عروض مسرحيّة، وسينمائيّة، وحضور حفلات، ومهرجانات فنّيّة، وقراءة الكثير من الإصدارات الجديدة، التي تصلني حال صدورها لأكتب عنها قراءات، وأحرّر أخبارا، وهذه تنسجم مع ميولي، كما إنّها زادتني ثراء معرفيًا، وأكثرتْ من تجاربي، في العمل الثقافي، والحياة.

وماذا أخذتْ منّي؟

الكثير أيضا، الجهد، والوقت الذي استنزفته في علاقات اجتماعيّة يضطر العاملون في وسائل الإعلام إلى بنائها مع مسؤولين، ومؤسسات هي بالنسبة لمن يعمل في الأعلام ، مصادر مهمّة، فالإعلامي الجيّد هو الذي تتعدّد مصادره، لتحقيق السبق، وهذا ممكن، وجيّد لمن يجعل الصحافة مصدر رزق فقط، دون ممارسة نشاط آخر، كالكتابة الإبداعيّة التي يأتي ذلك على حسابها، في الوقت الذي يحتاج به الشاعر، والكاتب إلى خلوة عن المحيط الخارجي، قدر الإمكان، لأخذ الوقت الكافي للقراءة، والتأمّل، وهذا ما أحاوله حاليا، وأنا أغرف من غواية القصيدة، والنص المسرحي، فخلال مغادرة عملي في الصحافة اليوميّة أصدرتُ، العديد من الكتب التي لم أكن سأنجزها لو بقيت أدور في مطحنة العمل الصحفي، ومع ذلك تظلّ فتنة (صاحبة الجلالة)، كما يطلق على الصحافة، يسكنني، ويطلّ برأسه من شقوق الأيّام ،لتجرّني إلى (مهنة المتاعب) .

اختر أي 20
كتابًا من إصداراتنا
لعامي 2013، 2014
بـ 20 ريالًا
العرض خلال شهري مايو يونيو
alghshamoman